في رحاب
وليد الكعبة

السيد عادل العلوي

موسوعة
رسالات إسلامية

رسالة
في رحاب وليد الكعبة
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٢ ـ ٧٣ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 5915 - 73 - 2
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٧٣٣
EAN 9789645915733
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

في رحاب وليد الكعبة[1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم.

أمّا بعد:

فاعلموا أيّها الأحبّاء الكرام أنّ العقائد تعني العلوم والمفاهيم التي تنعقد بالقلب، حتّى تكون من صميم الإنسان وواقعه، فهي بحكم المسامير في ألواح القلوب، فتحتاج دوماً إلى الدِّقّة والدَّقّة، أي يكون المعتقد دقيقاً في معتقداته، كما يدقّ على تلك المسامير دائماً حتّى لا تزول ولا تسقط عن القلب، وبهذا يحتاج الإنسان إلى الذكر والذكرى ـ والذكرى بمعنى تكرار الذِّكر ـ وإلّا فإنّ القلوب إذا تزلزلت بالشبهات والأباطيل فإنّها أوجبت سقوط عقائدها ومفاهيمها القلبيّة.

---

(١) محاضرة إسلامية ألقاها الكاتب في مسجد الإمام الرضا عليه السلام ليلة ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام ١٣ رجب الخير سنة ١٤٢٠ هـ. ق.

ثمّ لا يخفى أنّ العلم والعصمة من المفاهيم العقائدية الهامّة في قاموس الثقافة الإسلاميّة في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

والعلم هو الانكشاف وحصول أو حضور المعلوم لدى العالم أو انطباع صورة الشيء في الذهن، وإنّه ينقسم إلى علم حصولي وعلم حضوري، والأوّل إلى كسبي وإلهامي، والثاني إلى ذاتي ولدنّي.

فالحصولي الكسبي بحاجة إلى دراسة وتحصيل وتعليم، وإنّه في الصِّغر كالنقش على الحجر، وفي الكبر كالنقش على البحر، ومن طلب العلى والعلم سهر الليالي، وهو بمعنى حضور صورة المعلوم لدى العالم.

وبداية العلم الإلهامي إنّما هو من الرحمة الرحمانية، قد أعطاه الله لكلّ الخلق على السواء عند خلق النفوس:

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾[1].

فمن اتّقى الله فإنّه يزداد علماً:

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾[2].

ومن هذا العلم الإلهامي ما ورد في قصّة أُمّ موسى من الوحي:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾[3].

ومنه ما عند أمثال زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كما شهد

(١) الشمس: ٨ ـ ٩.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) القصص: ٧.

بحقّها الإمام زين العابدين: «أنتِ بحمد الله عالمةٌ غير معلّمة»، فعندها من العلم الإلهامي في قمّته وأعلى مراتبه، وهو برزخ بين العلم الكسبي والعلم اللدني، لا يلقاه إلّا ذو حظٍّ عظيم.

والعلم اللدنّي هو علم الأنبياء والأوصياء، فهو من العلم الحضوري، وإنّه من لدن حكيمٍ، من الله العليم جلّ جلاله، ولهذا العلم اللدنّي مراتب أيضاً، فأعلاها ما عند الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، أي النبيّ وفاطمة الزهراء والأئمة الاثنا عشر عليهم السلام.

وأمّا العلم الذاتي فهو علم الله سبحانه وتعالى، وإنّه العلم الأزلي عين ذات الله عزّ وجلّ.

فالعلم كلّي تشكيكي له مراتب طوليّة وعرضيّة، وأُمّهات المراتب فيما سوى الله سبحانه أربع، وهي كما يلي:

١ ـ العلم بالمعنى الأعمّ: وهو العلم الكسبي لعامّة الناس على السواء.

٢ ـ العلم بالمعنى العامّ: وهو العلم الإلهامي لأمثال زينب الكبرى عليها السلام.

٣ ـ العلم بالمعنى الخاصّ: وهو علم الأنبياء وأوصيائهم، وهو من العلم اللدنّي الحضوري.

٤ ـ العلم بالمعنى الأخصّ: وإنّه يختصّ بالنبيّ وبنته فاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وإنّه أوسع دائرةً من كلّ العلوم، بل ما عند غيرهم بالنسبة إليهم إنّما يكون بمثل القطرة بالنسبة إلى البحار، كما ورد في الأخبار.

ثمّ العلم الحضوري بمعنى حضور المعلوم بنفسه لدى العالم، وإنّه غير قابل للخطأ دون الحصولي، ثمّ إنّ الحضوري تشترك فيها كلّ القوى، وأمّا الحصولي

فهو بقوّة واحدة كالبصر في المرئيّات، ثمّ الأفعال منشؤها هو العلم، فلا يصدر الفعل من دون علم، والعلم من مقدّمات العمل وليس العلّة التامّة، وإذا غفلت النفس عن صورة ومفهوم المعلوم، فإنّ الفعل يتخلّف عن العلم، وهذا إنّما يصدق في العلم الحصولي دون العلم الحضوري، فمع العلم تظهر آثاره.

ثمّ من علم بقبح الذنب وكان عنده حاضراً، فإنّه يعتصم منه ويتجنّبه، كما هو واضح.

والعصمة لغةً: بمعنى المنع، واصطلاحاً: عبارة عن ملكة قدسيّة راسخة في الإنسان، تمنعه من الذنوب والمعاصي، ولها مراتب، فإنّها من الكلّي التشكيكي أيضاً، وإنّها تابعة للعلم، فإنّ سبب العصمة ومنع النفس عن الآثام والمعاصي هو العلم، وكلّما ازداد الإنسان علماً ازدادت العصمة. وإنّ القرآن الكريم يصرّح في آياته الشريفة أنّ سبب عصمة الأنبياء والأوصياء هو ما أعطاهم من العلم اللدنّي.

والعصمة تارة تكون مطلقة وهي ما عند الأنبياء وأوصيائهم، وأُخرى تكون نسبيّة وهي الموجودة عند الناس، واختلافهما في سعة الدائرة وضيقها.

وأُمّهات درجات العصمة أربع:

١ ـ العصمة بالمعنى الأعمّ:

وهي تعني التقوى بالمعنى الأعمّ، أي إتيان الواجبات وترك المحرّمات، أو بعبارة أُخرى العدالة التي تشترط في إمام الجماعة، فإمام الجماعة يكون معصوماً ولو في الظاهر بهذا المقدار، وكلّ مسلم ومؤمن لا بدّ ان يكون عادلاً في حياته

بترك الذنوب والمحرّمات وفعل الواجبات وإتيانها، والعبد يسأل ربّه في مناجاته وأدعيته: «اللهمّ اغفر لي ما مضى من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري»، وهذه العصمه أُولى مراتب العصمة الأفعاليّة، فإنّ الإنسان يعصم نفسه في أفعاله من الذنوب والمعاصي.

٢ ـ العصمة بالمعنى العامّ:

وهي من أعلى مراتب العصمة الأفعاليّة وهي التي عند أمثال أبي الفضل العبّاس وزينب الكبرى والسيّدة المعصومة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام، وهي نتيجة العلم الإلهامي والتقوى الخاصّ، فيترك الإنسان المكروهات فضلاً عن المحرّمات، كما يأتي بالنوافل والمستحبّات فضلاً عن الواجبات، ومنهم من يترك حتّى نيّة المكروه ولم يخطر ذلك على ذهنه.

٣ ـ العصمة بالمعنى الخاصّ:

وهي ما عند الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام، وإنّها ذاتية أي من ذاتهم، ومعنى الذاتي ليس الضروري والبديهي كما في الفلسفة حتّى يلزم الإلجاء والجبر فتنتفي الفضيلة، بل بلطف خاصّ من الله لما عندهم من العلم اللدنّي والملكات الخاصّة، كما أنّ هذه العصمة مطلقة وكلّية، وإنّما منحهم الله ذلك بعد الاختبار في عوالم التكليف كعالم الذرّ وقوله سبحانه: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1].

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

وهذه العصمة من مظاهر عصمة الله سبحانه، فكما كونه لا يفعل القبائح ولا يريدها لاستحالة ذلك عليه، وهذا لا ينافي كونه مختاراً، كذلك العصمة في الأنبياء لا تتنافى مع اختيارهم، فتدبّر.

٤ ـ العصمة بالمعنى الأخصّ :

وهي التي عند الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، فهي أعلى مراتب العصمة، وهي المظهر الأتمّ للعصمة الإلهيّة، فإنّه كما عندهم الولاية العظمى، فإنّ فيهم العصمة الكبرى، والعلم الأتمّ والاسم الأعظم.

وأساس العصمة ـ عند الكلّ ـ هو العلم والانكشاف، ولمثل هذا ورد في الحديث الشريف : «العصمة ثمرة العلم»، فالعلم هو ما به الاشتراك بين مراتب العلم.

وأمّا الذي به الامتياز : فتمتاز عصمة الأنبياء بالزهد، فقد اختبرهم الله بذلك، وشرط عليهم في العوالم السابقة على عالم الدنيا، بأن يزهدوا في دنياهم حتّى لا يتلوّثوا بحبّها، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وإنّهم دعاة التوحيد في محيط الكفر والشرك والمعاصي والذنوب، فلا بدّ من طهارتهم وعصمتهم بعصمة ذاتية كلّية مطلقة، بفيض العلم عليهم من لدن حكيم عليم، وبهذا امتاز الأنبياء عن الناس، وإنّهم القدوة والأُسوة، وبهم يتمسّك ويكون النجاة، فهم حبل الله جلّ جلاله.

وأمّا عصمة الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، فإنّما كان الامتحان والاختبار

بالصبر وهو أساس كلّ الصفات الأخلاقية التي منها الزهد، فهو أوسع دائرةً، وأعمق غوراً، وأدقّ مفهوماً.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

واليقين هو العلم، كما أنّ الهداية بأمر من الله سبحانه، يلزمه العلم المطلق، والأمر المطلق، فعلمهم يختلف عن علم الأنبياء، وإنّه لو كان بعض الأنبياء عنده حرف واحد أو حرفين أو ثلاثة حروف من ثلاث وسبعين حرفاً من الاسم الأعظم، فإنّ عندهم اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأعظم، وإذا كان بعض الأنبياء عنده علم من الكتاب فإنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام عندهم كلّ الكتاب.

وما أوسع البون بين العصمتين وبين العلمين ؟ ! وما أكثر الفوارق بينهما ؟ وإذا كان لا يقاس بالله أحد حتّى الأنبياء وحتّى الأربعة عشر عليهم السلام، فإنّه لا يقاس بهم أحد أيضاً بعده سبحانه، حتّى الأنبياء والأوصياء، فهم أفضل الخلق على الإطلاق، هذا ما أراد الله لهم :

﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[2].

ومن الفوارق بين العصمتين : إنّه يصدر من الأنبياء ترك الأولى، ويقول إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾[3]، ويخاطب بقوله : ﴿ أَوَ لَمْ

(١) السجدة : ٢٤.

(٢) البقرة : ٢٥٣.

(٣) البقرة : ٢٦٠.

تُؤْمِنْ ﴾ ؟ ويقول : ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ، ولا يصدر ذلك من الأربعة عشر عليهم السلام ، بل يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» ، وإنّه أفضل من آدم ونوح وموسى وعيسى وكلّ الأنبياء إلّا خاتمهم وسيّدهم محمّد صلى الله عليه وآله ، فإنّه يقول في حقّه : «أنا عبد من عبيد محمّد» ، من باب (من علّمني حرفاً صيّرني عبداً) ، وقد علّمه الرسول الأعظم ألف باب من العلم ينفتح من كلّ باب ألف باب. ولو جمع علم الأوّلين والآخرين قبال علم أمير المؤمنين كان كالقطرة قبال البحر ، كما ورد من الأخبار ، فهو الكتاب المبين ، وما من صغيرة ولا كبيرة من مجرّات مليونية وإلى ذرّات ملياردية إلّا في كتاب مبين ، ومن عنده علم الكتاب ، فموسى الكليم الكتاب المستبين وأمير المؤمنين هو الكتاب المبين.

ولمّا كان النبيّ الخاتم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله أفضل الخلق وأفضل الأنبياء ، فكذلك من كان نفسه يكون في رتبته في الأفضليّة على غيرهما ، ويدلّ على أنّه نفسه آية المباهلة ، وأمّا معتقدنا في علم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

عن الشيخ الصدوق في جامع الأخبار بسنده عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهما السلام قال : لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[1] قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا : يا رسول الله ، هو التوراة ؟ قال : لا ، قالا : فهو الإنجيل ؟ قال : لا ، قالا : فهو القرآن ؟ قال : لا ، قال : فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو هذا ،

(١) يس : ١٢.

إنّه الأمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء[1].

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام ، وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب ؟ فقال : ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما يأخذ بعوضة بجناحها من ماء البحر[2].

وهذا يعني أنّ من عنده علم من الكتاب أي الأنبياء أي علم الأوّلين والآخرين فهو ما دون القطرة أمام البحر.

قال أبو عبد الله عليه السلام : ما يقول الناس في أُولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال : قلت : ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً ؟ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ﴾[3] ، ولم يقل كلّ شيء موعظة. وقال لعيسى عليه السلام : ﴿ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾[4] ، ولم يقل كلّ شيء ، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[5].

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[6] ، وعلم

(١) البحار ٣٥ : ٤٢٨.

(٢) البحار ٣٥ : ٤٢٩.

(٣) الأعراف : ١٤٥.

(٤) الزخرف : ٦٣.

(٥) الرعد : ٤٣.

(٦) الأنعام : ٥٩.

هذا الكتاب عنده.

وهذا العلم الأخصّ بالنسبة إلى من يعلم به، وهو أوسع دائرة من كلّ العلوم، إنّما أنزله الله عليهم ولا يزال على الإمام المعصوم الحيّ صاحب العصر والزمان عليه السلام بواسطة الروح وهو خلق أعظم من جبرئيل عليه السلام ينزل مع أفواج من الملائكة على حجّة الله في ليلة القدر ليقدّم له كلّ أمرٍ حكيم.

في الصحيح عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾[1]، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت[2].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أيّدنا بروحٍ منه مقدّسة مطهّرة ليست بملك، لم تكن مع أحد ممّن مضى إلّا مع رسول الله وهي مع الأئمة منّا تسدّدهم وتوفّقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ[3].

وفي الصحيح عن جابر في حديث: إنّ السابقين هو رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصّة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح، أيّدهم بروح القدس، فبه بعثوا أنبياء وأيّدهم بروح الإيمان... وبروح القوّة... وبروح الشهوة... وروح المندرج...

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) الكافي ١: ٢٧٣.

(٣) البحار ٢٥: ٤٨.

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام سألته عن علم العالم فقال لي: يا جابر، إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى.

وفي صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا** ﴾[1]، قال: منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا[2].

عن الإمام الصادق عليه السلام: وروح القدس من سكن فيه فإنّه لا يعمل بكبيرة أبداً.

فروح القدس حقيقة غيبيّة ترافق النبيّ أو الوصي من بعده لعلمه ورشده، وتعصمه من كلّ شين ورين، وإنّها قوّة نفسانية تمنح الأنبياء والأوصياء علماً وعصمة عن كلّ خطأ في القول أو الفعل أو السلوك والأخلاق، وإنّ الروح لها مراتب تختلف شدّة وضعفاً، فإنّ روح القدس وإن نزل على عيسى بن مريم وغيره إلّا أنّه في الرتبة الدانية، وما كان في النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام دون الأنبياء، باعتبار الفرد الأتمّ والرتبة العليا والصنف الخاصّ بهم: ﴿ **تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾[3]، فهي تختلف شدّة وضعفاً، وما نزل على النبيّ كما في الخبر الرضوي لم ينزل على أحد من قبله وإنّه لم يصعد بل فيهم عليهم السلام، وهو مع

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥٧.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام يؤيّده ليل نهار... جعلنا الله وإيّاكم من خُلّص شيعته وأنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه، ورزقنا رأفته ودعاءه ورحمته الخاصّة التي هي مظهر الرحمة الإلهيّة.

وأخيراً:

لقد بنىٰ آدم صفوة الله وأبو البشر مع هندسة جبرئيل الأمين الكعبة المشرّفة، وإبراهيم خليل الرحمن مع ولده إسماعيل عمّرها وأشادها مرّة أُخرى، وخاتم الأنبياء حبيب الله محمّد صلى الله عليه وآله طاف حولها، كلّ هذا وكأنّه مقدّمة لضيافة ضيف عزيز على الله سبحانه، ألا وهو سيّد الوصيّين أمير المؤمنين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنّ كيفيّة ولادته في جوف الكعبة يدلّ على مقامه العظيم وعلى أسرار عظيمة، يقف عليها العاشق المحبّ.

عن العلل والمعاني والأمالي بسندهم عن سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطّلب وفريق من عبد العزّى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: ربِّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت وبحقّ المولود الذي في بطني لما يسّرت عليَّ ولادتي، قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر الله عزّ وجلّ، ثمّ خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قالت: إنّي فُضِّلت على من تقدّمني من النساء، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله

عزّ وجلّ سرّاً في موضع لا يحبّ أن يُعبد الله فيه إلّا اضطراراً، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنيّاً، وإنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأوراقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه عليّاً فهو عليّ، والله العليّ الأعلى يقول: إنّي شققت اسمه من اسمي، وأدّبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسّر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذّن فوق ظهر بيتي، ويقدّسني ويمجّدني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه، وويلٌ لمن أبغضه وعصاه[1].

وفي مناقب آل أبي طالب: فالولد الطاهر من النسل الطاهر ولد في الموضع الطاهر، فأين توجد هذه الكرامة لغيره؟ فأشرف البقاع الحرم، وأشرف الحرم المسجد، وأشرف بقاع المسجد الكعبة، ولم يولد فيه مولود سواه، فالمولود فيه يكون في غاية الشرف، وليس المولود في سيّد الأيام ـ يوم الجمعة ـ وفي الشهر الحرام وفي البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليه السلام[2].

أجل، إنّ الكعبة قبلة المصلّين في كلّ العالم، يتوجّه إليها المسلم والموحّد بجسده الترابي وفي صلاته الجوارحيّة من القيام والركوع والسجود، فإنّه من تراب ويتوجّه إلى كعبة هي من الأحجار، وقد شرّفها الله سبحانه لحكمته الربانية.

وأمّا المصلّي في صلاته الجوانحيّة والروحيّة القلبية، إنّما يتوجّه بقلبه إلى

---

(١) علل الشرائع: ٥٦، معاني الأخبار: ٦٢، أمالي الصدوق: ٨٠، البحار ٣٥: ٩.

(٢) البحار ٣٥: ١٩، عن المناقب: ٣٦٠.

وليد الكعبة، ومن الثابت أنّ الولاية هي روح الصلاة وعمودها، لولاها ما قبلت الصلاة، ولولا قبول الصلاة ما قبلت ما سواها من الأعمال، فالصلاة عمود الدين، كما أنّ الولاية عمود الصلاة.

وقبلة الصلاة هي الكعبة، وقبلة قلب المؤمن وليدها، فإنّه مظهر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، إنّه مظهر الولاية الإلهيّة العظمى، والمصلّي حقّاً إنّما يتوجّه بقلبه إلى كعبته الروحانية والولائية، وهي الحقيقة العلوية المتولّدة في جوف الكعبة، والتي هي زبدة الحقيقة المحمّدية التي تبلورت فيها الولاية الإلهيّة.

عليّ حبّه جُنّة ... قسيم النار والجَنّة
وصيّ المصطفى حقّاً ... إمام الإنس والجِنّة

❊ ❊ ❊

نادِ عليّاً مظهر العجائب ... تجده عوناً لك في النوائب
كلّ همّ وغمّ سينجلي ... بولايتك يا علي يا علي يا علي

❊ ❊ ❊

لا عذّب الله أُمّي إنّها شربت ... حبّ الوصيّ وغذّتنيه باللبنِ
وكان لي والدٌ يهوى أبا حسنٍ ... فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

❊ ❊ ❊

وختاماً هلمّ سويةً لنعيش مع العلّامة المحقّق شيخنا الأميني ﵀ وفي رحاب كتابه القيّم (الغدير) المجلّد السادس ـ الصفحة ٢١ ـ ٣٧ في ذيل قصيدة السريجي الأوالي، المتوفّى ٧٥٠ تقريباً، فقال العلّامة بعنوان (ما يتبع الشعر):

«في هذه القصيدة إشارةٌ إلى لمّة من فضائل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وقد بسطنا القول في جملة مهمّه منها في الأجزاء السابقة ونذكر هنا ما أشار إليه شاعرنا بقوله:

من كان في حرم الرحمن مولده ... وحاطه الله من بأسٍ وعدوانِ؟

يريد به قصّة ولادته صلوات الله عليه في الكعبة المعظّمة، وقد انشقّ جدار البيت لأُمّه فاطمة بنت أسد فدخلته ثمّ التأمت الفتحة، فلم تزل في البيت العتيق حتّى ولدت مشرِّف البيت بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنّة، ولم ينفلق صدف الكعبة عن درّه الدرّي إلّا وأضاء الكون بنور محيّاه الأبلج، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس، وهذه حقيقةٌ ناصعةٌ أصفق على إثباتها الفريقان، وتظافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نصّ جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الأثارة.

قال الحاكم[1]: وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة.

وحكى الحافظ الكنجي الشافعي في (الكفاية) من طريق ابن النجّار عن الحاكم النيسابوري أنّه قال: وُلد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بمكّة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك، وإجلالاً

(١) المستدرك ٣: ٤٨٣.

لمحلّه في التعظيم.

وتبعه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه وليّ الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنّف (التحفة الإثنى عشريّة في الردّ على الشيعة) فقال في كتابه (إزالة الخفاء): تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّاً في جوف الكعبة فإنّه وُلد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحدٌ سواه قبله ولا بعده.

قال شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي صاحب التفسير الكبير في (سرح الخريدة الغيبيّة في شرح القصيدية العينيّة) لعبد الباقي أفندي العمري ص ١٥ عند قول الناظم:

أنت العليُّ الذي فوق العلى رفعا ... ببطن مكّة عند البيت إذ وضعا

وكون الأمير كرّم الله وجهه وُلد في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنّة والشيعة ـ إلى أن قال ـ: ولم يشتهر وضع غيره كرّم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتّفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمّة أن يكون وضعه فيما هو قبلةٌ للمؤمنين؟ وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين.

وقال في الصفحة ٧٥ عند قول العمري:

وأنت أنت الذي حطّت له قدمٌ ... في موضع يده الرحمن قد وضعا

وقيل: أحبّ عليه الصلاة والسلام (يعني عليّاً) أن يكافئ الكعبة حيث وُلد في بطنها بوضع الصنم على ظهرها فإنّها كما ورد في بعض الآثار كانت تشتكي إلى الله تعالى عبادة الأصنام حولها وتقول: أي ربّ حتّى متى تُعبد هذه الأصنام

حولي؟ والله تعالى يعدها بتطهيرها من ذلك. اهـ.

وإلى هذا المعنى أشار العلّامة السيّد رضا الهندي بقوله:

لمّا دعاك الله قِدماً لأن ... تولد في البيت فلبَّيته

شكرته بين قريش بأن ... طهَّرتَ من أصنامهم بيته

ويجدها القارئ من المتسالم عليه من فضائل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في غير واحد من مصادر القوم منها:

١ ـ مروج الذهب ٢ ص ٢ ... تأليف أبي الحسن المسعودي الهذلي

٢ ـ تذكرة خواصّ الأُمّة ص ٧ ... تأليف سبط ابن الجوزي الحنفي

٣ ـ الفصول المهمّة ص ١٤ ... تأليف ابن الصبّاغ المالكي

٤ ـ السيرة النبويّة ١ ص ١٥٠ ... تأليف نور الدين علي الحلبي الشافعي

٥ ـ شرح الشفا ج ١ ص ١٥١ ... تأليف الشيخ علي القاري الحنفي

٦ ـ مطالب السؤول ص ١١ ... تأليف أبي سالم محمّد بن طلحة الشافعي

٧ ـ محاضرة الأوائل ص ١٢٠ ... تأليف الشيخ علاء الدين السكتواري

٨ ـ مفتاح النجا في مناقب آل العبا ... تأليف ميرزا محمّد البدخشي

٩ ـ المناقب ... تأليف الأمير محمّد صالح الترمذي

١٠ ـ مدارج النبوّة ... تأليف الشيخ عبد الحقّ الدهلوي

١١ ـ نزهة المجالس ٢ ص ٢٠٤ ... تأليف عبد الرحمن الصفوري الشافعي

١٢ ـ آيينه تصوّف ط ص ١٣١١ ... تأليف شاه محمّد حسن الجشتي

١٣ ـ روائح المصطفى ص ١٠ ... تأليف صدر الدين أحمد البردوني

١٤ ـ كتاب الحسين ١ ص ١٦ ... تأليف السيّد علي جلال الدين

١٥ ـ نور الأبصار ص ٧٦ تأليف السيّد محمّد مؤمن الشبلنجي

١٦ ـ كفاية الطالب ص ٣٧ تأليف الشيخ حبيب الله الشنقيطي

وأمّا أعلام الشيعة فقد ذكرت منهم هذه الأثارة أُمّة كبيرة منها :

١ ـ الحسن بن محمّد بن الحسن القمّي في تاريخ قم الذي ألّفه وقدّمه إلى الصاحب بن عبّاد سنة ٣٧٨، وترجمه إلى الفارسيّة الشيخ الحسن بن علي بن الحسن القمّي سنة ٨٦٥، راجع ص ١٩١ من الترجمة.

٢ ـ الشريف الرضي المتوفّى ٤٠٦ (المترجم في ج ٤ ص ١٨١ ـ ٢٢١) ذكرها في خصائص الأئمة وقال : لم نعلم مولوداً في الكعبة غيره.

٣ ـ شيخ الأُمّة معلّم البشر أبو عبد الله المفيد المتوفّى ٤١٣ في المقنع، ومسار الشيعة ص ٥١ ط مصر، والإرشاد ص ٣ وقال : لم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله سواه، إكراماً من الله جلّ اسمه بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم.

٤ ـ الشريف المرتضى المتوفّى ٤٣٦ (مرّت ترجمته في ج ٤ ص ٢٦٤ ـ ٢٩٩) ذكرها في شرح القصيدة البائيّة للحميري ص ٥١ ط مصر وقال : لا نظير له في هذه الفضيلة.

٥ ـ نجم الدين الشريف أبو الحسن عليّ بن أبي الغنائم محمّد المعروف بابن الصوفي ذكرها في كتابه (المجدي) المخطوط.

٦ ـ الشيخ أبو الفتح الكراجكي المتوفّى ٤٤٩ في (كنز الفوائد) ص ١١٥.

٧ ـ الشيخ حسين بن عبد الوهاب معاصر الشريف المرتضى في (عيون

المعجزات).

٨ ـ شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّى ٤٦٠ في التهذيب ج ٢، ومصباح المتهجّد ص ٥٦٠، والأمالي ص ٨٠ ـ ٨٢.

٩ ـ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفّى ٥٤٨ صاحب (مجمع البيان) في (إعلام الورى) ص ٩٣ وقال : لم يولد قطّ في بيت الله تعالى مولودٌ سواه لا قبله ولا بعده.

١٠ ـ ابن شهرآشوب السروي المتوفّى ٥٨٨ في (المناقب) ١ ص ٣٥٩، و ج ٢ ص ٥٠.

١١ ـ ابن البطريق شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن الحلّي المتوفّى ٦٠ في كتابه (العمدة) وقال : لم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله سواه.

١٢ ـ رضيّ الدين عليّ بن طاووس المتوفّى ٦٦٤ في كتابه (الإقبال) ص ١٤١.

١٣ ـ عماد الدين الحسن الطبري الآملي صاحب (الكامل) المؤلَّف سنة ٦٧٥ في كتابه (تحفة الأبرار) في الفصل الثامن من الباب الرابع.

١٤ ـ بهاء الدين الإربلي المتوفّى ٦٩٢ (مرّت ترجمته في ج ٥ ص ٤٤٥) في كتابه (كشف الغمّة) ص ١٩ وقال : لم يولد في البيت أحدٌ سواه قبله ولا بعده، وهي فضيلةٌ خصّه الله بها إجلالاً له، وإعلاءً لرتبته، وإظهاراً لتكرمته.

١٥ ـ أبو علي ابن الفتّال النيسابوري المترجم في كتابنا (شهداء الفضيلة) ص ٣٧ ذكرها في (روضة الواعظين) ص ٦٧.

١٦ ـ هندوشاه بن عبد الله الصاحبي النخجواني في (تجاب السلف) ص ٣٧.

١٧ ـ العلّامة الحسن بن يوسف الحلّي المتوفّى ٧٢٦ في كتابيه: كشف الحقّ، وكشف اليقين ص ٥ ونصّ على أنّه لم يولد أحدٌ سواه فيها لا قبله ولا بعده.

١٨ ـ جمال الدين بن عنبة المتوفّى ٨٢٨ في (عمدة الطالب) ص ٤١.

١٩ ـ الشيخ علي بن يونس العاملي البياضي المتوفّى ٨٧٧ في (الصراط المستقيم).

٢٠ ـ السيّد محمّد بن أحمد بن عميد الدين علي الحسيني، في (المشجَّر الكشّاف للسادة الأشراف) ص ٢٣٠ ط مصر.

٢١ ـ الشيخ تقي الدين الكفعمي الآتي ترجمته في هذا الجزء إن شاء الله، في المصباح ص ٥١٢.

٢٢ ـ أحمد بن محمّد بن عبد الغفّار الغفّاري القزويني في (تاريخ نكارستان) المؤلّف سنة ٩٤٩ ص ١٠ ط سنة ١٢٤٥.

٢٣ ـ القاضي نور الله المرعشي المستشهد ١٠١٩، المترجم في كتابنا (شهداء الفضيلة) ص ١٧١ في كتابه: إحقاق الحقّ.

٢٤ ـ الشيخ عبد النبيّ الجزائري المتوفّى ١٠٢١ في «حاوي الأقوال».

٢٥ ـ الشيخ محمّد بن الشيخ علي اللاهيجي في «محبوب القلوب».

٢٦ ـ المولى المحسن الكاشاني المتوفّى ١٠٩١ في كتابه «تقويم المحسنين».

٢٧ ـ الشيخ نظام الدين محمّد بن الحسين التفرشي الساوجي تلميذ شيخنا البهائي في تأليفه «تكملة الجامع العبّاسي» لشيخه المذكور.

٢٨ ـ الشيخ أبو الحسن الشريف المتوفّى ١١٠٠ في كتابه الضخم الفخم القيّم (ضياء العالمين) وقال: كانت مشهورة في الصدر الأوّل.

٢٩ ـ السيّد هاشم التوبلي البحراني صاحب التآليف القيّمة المتوفّى ١١٠٧ في (غاية المرام) وقال: بلغت حدّ التواتر معلومة في كتب العامّة والخاصّة.

٣٠ ـ العلّامة المجلسي المتوفّى ١١١٠ / ١١ في جلاء العيون ص ٨٠ فقال ما معناه: مشهور بين المحدّثين والمؤرّخين من الخاصّة والعامّة.

٣١ ـ السيّد نعمة الله الجزائري المتوفّى ١١١٢ في (الأنوار النعمانيّة).

٣٢ ـ السيّد علي خان الشيرازي ١١١٨ / ٢٠ في (الحدائق النديّة في شرح الفوائد الصمديّة).

٣٣ ـ السيّد محمّد الطباطبائي جدّ آية الله بحر العلوم الفارغ عن بعض تآليفه سنة ١١٢٦ في رسالته الموضوعة لتواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.

٣٤ ـ السيّد عبّاس بن علي بن نور الدين الموسوي الحسيني المكّي المتوفّى ١١٧٩ في كتابه (نزهة الجليس) ج ١ ص ٦٨.

٣٥ ـ أبو علي الحائري المتوفّى ١٢١٥ في رجاله الدائر (منتهى المقال) ص ٤٦.

٣٦ ـ السيّد محسن الأعرجي المتوفّى ١٢٢٧ في (عمدة الرجال).

٣٧ ـ الشيخ خضر بن شلّال العفكاوي النجفي المتوفّى ١٢٥٥ في مزاره المسمّى بأبواب الجنان وبشائر الرضوان.

٣٨ ـ السيّد حيدر الحسني الحسيني الكاظمي المتوفّى ١٢٦٥ في (عمدة الزائر) ص ٥٤.

٣٩ ـ السيّد مهدي القزويني المتوفّى ١٣٠٠ في (فلك النجاة) ص ٣٢٦.

٤٠ ـ المولى السيّد محمود بن محمّد علي بن محمّد باقر في (تحفة السلاطين) ج ٢ فقال ما معناه: مشهور كالشمس في رائعة النهار.

٤١ ـ المولى السلطان محمّد بن تاج الدين حسن في (تحفة المجالس) ص ٨٨ ط سنة ١٢٧٤.

٤٢ ـ السيّد ميرزا حسن الزنوزي نزيل خوي في كتابه الضخم (بحر العلوم).

٤٣ ـ الحاج المولى شريف الشرواني من تلمذة السيّد العظيم صاحب الرياض في كتابه: الشهاب الثاقب في مناقب عليّ بن أبي طالب.

٤٤ ـ المولى علي أصغر البروجردي في عقائد الشيعة ص ٣١ ط سنة ١٢٦٣.

٤٥ ـ الحاج ميرزا حبيب الخوئي في كتابه الكبير: شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٧١.

٤٦ ـ أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن جعفر الحسيني الأعرجي في «مناهل الضرب في أنساب العرب».

٤٧ ـ الحاج الشيخ عبّاس القمّي المتوفّى ١٣٥٩ في (سفينة البحار) ج ٢ ص ٢٢٩.

٤٨ ـ السيّد محسن الأمين الحسيني العاملي في (أعيان الشيعة) ج ٣: ٣.

٤٩ ـ الشيخ جعفر نقدي في كتابه (نزهة المحبّين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) ص ٢ ـ ٨.

٥٠ ـ شيخنا الاوردبادي ألّف في الموضوع كتاباً فخماً، وقد أغرق نزعاً في التحقيق ولم يبق في القوس منزعاً، وإليك فهرست عناوينه:

١ ـ حديث المولد الشريف وتواتره.

٢ ـ حديث الولادة الشريفة مشهور بين الأُمّة.

٣ ـ نبأ الولادة والمحدّثون.

٤ ـ حديث الولادة والنسّابون.

٥ ـ حديث الولادة والمؤرّخون.

٦ ـ حديث الولادة والشعراء.

٧ ـ حديث الولادة والإجماع عليه.

ألّف القاضي أبو البحتري كتاباً في مولد أمير المؤمنين عليه السلام كما ذكره النجاشي وشيخ الطائفة، ورواه أبو محمّد العلوي الحسن بن محمّد عن حجر بن محمّد السامي عن رجاء بن سهل الصنعاني عن أبي البحتري كما في تاريخ الخطيب البغدادي ٧ ص ٤١٩.

وذكر النجاشي في فهرسته ص ٢٧٩ كتاب مولد أمير المؤمنين لشيخنا ابن بابويه الصدوق.

وقد نظم هذه الأثارة كثيرون من أعلام الشيعة الفطاحل وشعرائها الأفذاذ نظراء:

١ ـ السيّد الحميري المتوفّى ١٧٣، وقد مرّت ترجمته في ج ٢ ص ٢٣١ ـ ٢٧٨ قال:

ولدتــه فــي حـرم الإله وأمـنه ... والبيت حـيث فـناؤه والمسـجدُ
بــيضاء طـاهرة الثـياب كـريمة ... طابت وطـاب وليـدها والمـولدُ
في ليلة غـابت نـحوس نـجومها ... وبدت مع القـمر المـنير الأسـعدُ
ما لُفَّ في خـرق القـوابـل مـثله ... إلّا ابــن آمــنة النـبيّ (مـحمّدُ)

٢ ـ محمّد بن منصور السرخسي، ذكرها في أبـيات تـوجد فـي مـناقب ابن شهرآشوب ج ١ ص ٣٦٠.

٣ ـ خواجه معين الدين الجشتي الأجميري المتوفّى ٦٣٢.

٤ ـ المولى الرومي العارف الشهير المتوفّى ٦٧٢.

٥ ـ المولى محمّد بن عبد الله الكاتبي النيسابوري المتوفّى ٨٨٩، المترجم في مجالس المؤمنين.

٦ ـ المولى أهلي الشيرازي المتوفّى ٩٤٢.

٧ ـ ميرزا محمّد علي التبريزي المتخلّص في شعره بـ(صائب) من شعراء عهد السلطان سليمان المتوفّى ٩٧٤ له قصيدة يمدح بها الكعبة المشرّفة ويـذكر مزاياها وعدّ منها ولادة أمير المؤمنين بها توجد في كتاب (الخـزانـة العـامرة) صحيفة ٢٩١.

٨ ـ السيّد محمّد باقر بن محمّد الحسيني الاسترآبـادي الشـهير بـدامـاد المتوفّى ١٠٤١.

٩ ـ المولى محمّد مسيح المعروف بمسيحا الفسـوي الشـيرازي المـتوفّى

١١٢٧ الآتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثاني عشر.

١٠ ـ السيّد نصر الله المدرّس الحائري الشهيد سـنة ١١٦٠، أحـد شـعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الثاني عشر.

١١ ـ المولى رضا الرشتي المتخلّص في شعره بـ(المحزون) في مـثنويٍّ له.

١٢ ـ ميرزا نصر الله المتخلّص بـ(الشهاب).

١٣ ـ الشريف محمّد بن فلاح الكاظمي أحد شعراء الغـدير يأتـي شـعره وترجمته في محلّهما، ذكرها في قصيدته الكرّاريّة.

١٤ ـ الشيخ محمّد رضا النحوي المتوفّى ١٢٢٦، أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته في محلّها.

١٥ ـ الشيخ حسين نجف المتوفّى ١٢٥٢، أحد شعراء الغدير يأتي شـعره وترجمته في شعراء القرن الثالث عشر قال في قصيدته الكبيرة:

جــــعل الله بـــيته لعـــليّ ... مــولداً يــا له عـلاً لا يُـضاهى
لم يشــاركه فــي الولادة فـيه ... ســـيّد الرســـل ولا أنـبياها
عـــلم الله شـــوقها لعـــليٍّ ... عــلمه بـالذي بـه مـن هـواهـا
إذ تـــمنّت لقـــاءه وتـمنّى ... فأراهـــا حـــبيبه ورآهـــا
مـــا ادَّعـــى مـدَّعٍ لذلك كـلّا ... من ترى في الورى يروم ادّعاها ؟
فـاكـتست مكّـة بـذاك افـتخاراً ... وكـذا المشـعران بـعد مـناها
بل به الأرض قد علت إذ حـوته ... فغدت أرضـها مَـطاف سـماها ؟
أوَ مـا تـنظر الكـواكب ليـلاً ... ونـهاراً تـطوف حـول حـماها ؟

وإلى الحشر فـي الطـواف عـليه وبـــذاك الطــواف دام بــقاها

١٦ ـ ميرزا عباس الدامغاني المتخلّص بـ(نشاط) الهزارجريبي المـتوفّى ١٢٦٢.

١٧ ـ السيّد محمّد تقي القزويني المتوفّى ١٢٧٠، أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته في شعراء القرن الثالث عشر.

١٨ ـ الشيخ حسين بن علي الفتوني الهمداني العاملي الحائري، من شعراء الغدير يأتي ذكره في القرن الثالث عشر.

١٩ ـ الحاج محمّد خان المولود سنة ١٢٤٦ المـتخلّص بـ(دشـتي) فـي ديوانه المطبوع.

٢٠ ـ الحاج ميرزا إسماعيل الشيرازي المتوفّى ١٣٠٥، أحد شعراء الغدير من حجج الطائفة يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر له قصيدة موشّحة فـي المولود المقدّس ألا وهي:

رغـــد العـــيش فـــزده رغـــدا بســـلافٍ مـــنه تشـــفي سـقمي

طرب الصبّ على وصل الحـبيبْ وهنى العيش عـلى بُـعد الرقـيبْ

وفّني من أكـؤس الراح النـصيبْ وائـــتني تـــوماً بـــها لا مـــفردا

فالهنا كلّ الهنا في التوئمِ

آتـــني الصـــهباء نـــاراً ذائـــبه كـــلّلتها قـــبساتٌ لاهـــبه

واســقنيها والنــدامــى قـاطبه فـــلعمري إنّـــها ريُّ الصـــدى

لفؤادٍ بالتصابي مضرمِ

ما أُحيلى الراح من كـفّ المـلاحْ هـــي روح هـــي رَوح هـــي راحْ

فأدرهـــا فـــي غـــدوٍّ ورواحْ كـــذكاءٍ تـــتجلّى صـــرخـــدا

رصّعتها حببٌ كالأنجمِ

حـــبّذا آنـــاء أُنس أقـــبلتْ أدركت نـــفسي بـــها مـــا أمّـــلتْ

وضـــعت أُمّ العُـــلى مـــا حُـــملتْ طـــاب أصـــلاً وتـعالى مـحتدا

مالكاً ثقل ولاء الأُممِ

آنست نـــفسي مـن الكـعبة نـورْ مثل مـا آنس مـوسى نـار طـورْ

يوم غشّى المـلأ الأعـلى سـرورْ قـــرع الســـمع نـــداءٌ كـــندا

شاطئ الوادي طوى من حرمِ

ولدت شمس الضحى بدر التـمامْ فـــانجلت عـنّا ديـاجير الظـلامْ

نـــادِ: يـا بشـراكـمُ هـذا غـلامْ وجـــهه فـــلقة بـــدرٍ يـــهتدى

بسنا أنواره في الظّلمِ

هـــذه فـــاطمةُ بـــنت أســدْ أقـــبلت تـــحملُ لاهـوت الأبـدْ

فـــاسجدوا ذلّاً له فـــيمن سـجدْ فـــله الأمـــلاك خـــرّت سُـجّدا

إذ تجلّى نوره في آدمِ

كُشف الستر عـن الحـقِّ المـبينْ وتـــجلّى وجـــه ربّ العـــالمينْ

وبـــدا مـــصباح مشكـاة اليـقينْ وبـــدت مشـرقةً شـمس الهـدى

فانجلى ليل الضلال المظلمِ

نُســخ التأبــد مــن نـفي تـرى فأرانـــا وجـــهه ربُّ الورى

ليت مـــوسى كـــان فـينا فـيرى مـــا تـــمنّاه بـــطورٍ مُـــجهدا

فانثنى عنه بكفّي مُعدمِ

هل درت أُمّ العلى ما وضعت ؟ أم درت ثدي الهدى ما أرضعت ؟
أم درت كفّ النهى ما رفعت ؟ أم درى ربّ الحجى ما ولدا ؟
جلّ معناه فلمّا يُعلمِ

سيّدٌ فاق عُلاً كلّ الأنامْ كان إذ لا كائنٌ وهو إمامْ
شرَّف الله به البيت الحرامْ حين أضحى لعُلاه مولدا
فوطا تربته بالقدمِ

إن يكن يُجعل للهِ البنونْ وتعالى الله عمّا يصفونْ
فوليد البيت أحرى أن يكونْ لوليٍّ البيت حقّاً ولدا
لا عزيزٌ لا ولا ابن مريمِ

هو بعد المصطفى خير الورى من ذرى العرش إلى تحت الثرى
قد كست علياءه أُمّ القرى غرّةً تحمي حماها أبدا
حيث لا يدنوه من لم يحرمِ

سبق الكون جميعاً في الوجودْ وطوى عالم غيبٍ وشهودْ
كلّما في الكون من يمناه جودْ إذ هو الكائن لله يدا
ويد الله مدرُّ الأنعمِ

سيِّدٌ حازت به الفضل مضرْ بفخارٍ فسما كلّ البشرْ
وجهه في فلك العليا قمرْ فبه لا بالنجوم يُهتدى
نحو مغناه لنيل المغنمِ

هو بدرٌ وذراريه بدورْ عقمت عن مثلهم أُمّ الدهور
كعبة الوفّاد في كلّ الشهورْ فاز من نحو فناها وفدا
بمطافٍ منه أو مُستلمِ

ورثوا العلياء قدماً من قُصيٍّ ونزار ثمَّ فهرٍ ولؤي
لا يبارى حبّهم قطّ بحيّ وهم أزكى البرايا محتدا
وإليهم كلّ فخر ينتمي

أيّها المرجى لقاهُ في المماتْ كلّ موت فيه لقياك حياةْ
ليتما عجّل بي ما هو آتْ علّني ألقى حياتي في الردى
فايزاً منه بأوفى النِّعمِ

٢١ ـ ميرزا أبو القاسم الحسيني الشيرازي.

٢٢ ـ سراج الدين محمّد بن الحسن القرشي التميمي العدويّ الأُمويّ المعروف بفدا حسين الهندي، نظم مكرمة الولادة الشريفة في قصيدته العلويّة الكبيرة المطبوعة البالغة ١٤١١ بيتاً المسمّاة بالنفحة القدسيّة ص ٦٨، ١٧٨.

٢٣ ـ ميرزا محمّد تقي الشهير بحجّة الإسلام المتوفّى ١٣١٢، في ديوانه المطبوع ص ١٩٦، ٢٠٠.

٢٤ ـ الشاعر المفلق محمّد اليزدي المتخلّص في شعره بـ(جيحون) المتوفّى حدود ١٣١٨، في ديوانه المطبوع.

٢٥ ـ السيّد مصطفى بن الحسين الكاشاني النجفي دفين الكاظميّة المتوفّى ١٣٣٦ أحد شعراء الغدير، يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر.

٢٦ ـ الحاج ميرزا حبيب الخراساني المترجم في كتابنا (شهداء الفضيلة) ص ٢٨٢.

٣٧ ـ الشيخ علي الملقّب بالشيخ الرئيس الخراساني المتوفّى حدود ١٣٢٠ في منظومته المسمّاة بـ(تنبيه الخاطر في أحوال المسافر) ص ٤.

٢٨ ـ الشيخ محمود عبّاس العاملي المتوفّى ١٣٥٣، أحد شعراء الغدير يأتي.

٢٩ ـ السيّد حسن آل بحر العلوم المتوفّى ١٣٥٥، من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر.

٣٠ ـ الحاج الشيخ محمّد الحسين الإصبهاني المتوفّى ١٣٦١، أحد شعراء الغدير الآتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر.

٣١ ـ السيّد مير علي أبو طبيخ النجفي المتوفّى ١٣٦١، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته.

٣٢ ـ السيّد رضا الهندي النجفي المتوفّى ١٣٦٢، من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر.

٣٣ ـ السيّد المحسن الأمين العاملي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٤ ـ الشيخ محمّد صالح المازندراني، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٥ ـ الشيخ ميرزا محمّد علي الاوردبادي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره، نظمها في غير واحدة من قصائده، وممّا قال فيها قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام:

سبق الكرام فها همُ لم يلحقوا ... في حلبة العلياء شأوكميتهِ
إذ خصّه المولى بفضلٍ باهرٍ ... فيه يميّز حيّه من ميتهِ
لم يتّخذ ولداً وما إن يتّخذ ... إلّا وكان ولاده في بيتهِ
في البيت مولده يحقّق إنّه ... دون الأنام ذبالة في زيتهِ

خمَّسها النطاسي المحنّك ميرزا محمّد الخليلي صاحب (معجم أُدباء

الأطباء).

٣٦ ـ الشيخ محمّد السماوي النجفي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٧ ـ الشيخ محمّد علي يعقوب النجفي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٨ ـ الشيخ جعفر نقدي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٩ ـ ميرزا محمّد الخليلي النجفي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره، له موشّحة في الميلاد الشريف يهنّئ بها سيّدنا الحجّة السيّد ميرزا علي آغا الشيرازي وهي:

من بدا فازدهر البيت الحرام ... وزهت منه ليالي رجبِ ؟

طرب الكون لبشر وهنا ... إذ بدا الفخر بنور وسنا
وأتى الوحي ينادي معلناً ... قد أتاكم حجّة الله الإمام
وأبو الغرّ الهداة النجبِ
خصَّه الرحمن بالفضل الصراحْ ... ومزايا أشرقت غرّاً وضاحْ
وسما منزله هام الضراحْ ... فغدا مولده خير مقامْ
طأطأت فيه رؤوس الشهبِ
إنّه أوّل بيت وُضعا ... للورى طرّاً فأضحوا خضَّعا
وعلى الحاضر والبادي معا ... حجَّةُ أضبح فرضاً ولزامْ
طاعةٌ تتبع أقصى القربِ
وهو القبلة في كلّ صلاهْ ... وملاذٌ يرتجى فيه النجاهْ
وقد استخلصه الله حماهْ ... فلأن يأتِ إليه مستهامْ
في ملمّ داعياً يُستجبِ

تـــلكم فـــاطمة بـــنت أســدْ أمَّت البـــيت بكـــرب وكـــمدْ
ودعت خـــالقها البـــاري الصـــمدْ بـحشاً فـيه مـن الوجـد الضـرامْ
قد علته قبسات اللهبِ
نـــادت اللـــهمّ ربّ العـــالمين قاضي الحاجات للمستصرخـينْ
كاشف الكرب مـجيب السـائلين إنّـــني جـــئتك مـن دون الأنـامْ
أبتغي عندك كشف الكربِ
بـــينما كـــانت تـــناجي ربّـــها وإلى الرحـــمن تشكـــو كـــربها
وإذا بـــــالبشر غشّـــــى قـــلبها من جدار البـيت إذ لاح ابـتسامْ
عن سنا ثغرٍ له ذي شنبِ
فـتق الزهـر ؟ أم انشـقّ القـمر ؟ أم عمود الصـبح بـالليل انـفجر ؟
أم أضاء البرق فـالكون ازدهـر ؟ أم بدا في الأُفق خـرقُ والتـئامْ ؟
فغدا برهان معراج النبي
أم أشار البيت بـالكفّ ادخـلي ؟ واطـــــمئنّي بـــــالإله المـــفضلِ
فـــهنا يـــولد ذو العـــليا (عـــلي) من به يـحظى حـطيمي والمـقامْ
وينال الركن أعلا الرتبِ
دخـــلت فـاطم فـارتدّ الجـدارْ مـــثلما كـان ولم يكشـف سـتارْ
إذ تجلّى النور وانـجاب السـرارْ عن سـنا بـدرٍ بـه يـجلو الظـلامْ
والورى ينجو به من عطبِ
وُلد الطـــــاهر ذاك ابـــن جَـــلا مـن سـما العـرش جـلالاً وعُـلا
فـــــله الأمـــلاك يـــعنو ذلّـــلا وبـــه قـــد بشّـــر الرسـل العـظامْ
قومهم فيما خلا من حُقبِ

عـــــــرف الله ولا أرضٌ ولا رفـــعت ســبع طـــباق ظـــللا
فـــــلذا خـــرّ ســجوداً وتـــلا كـــلّما جـاء إلى الرسـل الكـرام
قبله من صحفٍ أو كتبِ
إن يك البـــيت مـــطافاً للأنـــامْ فـــعليٌّ قـــد رقـــى أعـلا سـنامْ
إذ بـــه يـــطوّف البـــيت الحـرامْ وســـعى الركـــن إليـــه لاستلامْ
فغدا يزهو به من طربِ
لم يكن في البـيت مـولودٌ سـواهْ إذ تـعالى عـن مـثيل فـي عـلاهْ
أُوتـــــي العـــلم بـتعليم الإله فـــــغذاه درّه قـــــبل الفـــطامْ
يرتوي منه بأهنى مشربِ
صـــغر الكـــون عـــلى ســـؤددهِ وانـــتمى الوحـــي إلى مـــحتدهِ
بشِّـــــر الشـــيعة فـــي مـــولدهِ واقصدوا العـلّامة الحَـبر الإمـام
منبع العلم مناط الأدبِ (القصيدة)

وله قصيدة أُخرى ميلاديّة بارى بها قصيدة (إيليا أبي ماضي) الإلحـاديّة المقفّاة بـ(لست أدري) وهي :

طرب الكـون مـن البشـر وقـد عـمّ السـرورْ
وغـــدا القـمريُّ يشـدو فـي ابـتسام للـزهورْ
وتـــهانت ســاجعات فـي ذرى الأيك الطـيورْ
لِمَ ذا البشر ؟ وما هذا التهاني ؟ لستُ أدري

تـلعب الريـح وفـيها الدوح قـامت راقـصاتْ
وبــها الأوراق تــزهو بــالأكـفّ الصـافقاتْ
ضــارباً ســجع هـزار الغـصن أوتـار الحـياة
مِمَّ هذي الدوح أضحت راقصات ؟ لستُ أدري
قد كسى وجه الثرى من سندس وشـي الربـيعْ
فـتهادى مـائساً فـي حُـلل الخـصب المـريعْ
وغــدا يــختال بــالأرياش والشأن البــديعْ
قائلاً : هل أحدٌ يوجد مثلي ؟ لستُ أدري
والنسيم الغضّ قد تـهمس فـي سـمع الأقـاحْ
فــترى بــاسمة الثــغر نشــاطاً وارتــياحْ
وهــزيز الغــصن يُــبدي شأن زهـوٍ ومـراحْ
ما الذي قالت فردّت بابتسام ؟ لستُ أدري
طــبّق الأرض لهــيباً نــار مــحمرّ الشـقيقْ
فـغدا البـلبل مـرتاع الحشـا خـوف الحـريقْ
صارخاً : هل لنجاتي عن لظاها مـن طـريق ؟
هذه النار أتتني كيف أُطفي ؟ لستُ أدري
أشــرقت طــلعة نـور عـمّت الكـون ضـياءا
لا أرى بــدراً عـلى الأُفـق ولم أُبـصر ذكـاءا
وتــفحّصت فــلم أُدرك هــناك الكــهرباءا
فبماذا ضاء هذا الكون نوراً ؟ لستُ أدري

كـان هـذا الروض قـبل اليـوم رهـناً للـذبولْ
ســاحبات فــوقها الأرواح قــدماً للــذيولْ
تــعصف النكــباء فــيها دون أنـفاس البـليلْ
كيف عاد اليوم يزهو في شذاه ؟ لستُ أدري
قــمت أســتكشف عــنه ســائلاً هـذا وذاكْ
فرأيت الكـلّ مـثلي فـي اضـطرابٍ وارتـباكْ
وإذا الآراء طــرّاً فــي اصــطدامٍ واصـطكاكْ
وأخيراً عمّها العجز فقالت : لستُ أدري
وإذاً نــــبّهني عــــاطفة الحبّ الدفــــينْ
وتــظنّنت وظــنّ الألمــعي عــين اليــقينْ
إنّــــه مــــيلا مــــولانا أمــير المــؤمنينْ
فدع الجاهل والقول : بأنّي لستُ أدري
لم يكــن فــي كـعبة الرحـمن مـولودٌ سـواهْ
إذ تـعالى فـي البـرايـا عـن مـثيل فـي عُـلاهْ
وتــولّى ذكــره فــي مــحكم الذكــر الإلهْ
أيقول الغرّ فيه بعد هذا : لستُ أدري
أقــــبلت فــــاطمة حــاملة خــير جــنينْ
جاء مـخلوقاً بـنور القـدس لا المـاء المـهينْ
وتــردّى مــنظر اللاهــوت بــين العــالمينْ
كيف قد أودع في جنبٍ وصدرٍ ؟ لستُ أدري

أقــبلت تـدعو وقـد جـاء بـها داءُ المـخاضْ
نحو جذع النخل من ألطاف ذي اللطف المفاضْ
فــدعت خــالقها البــاري بأحشـاءٍ مـراضْ
كيف ضجّت ؟كيف عجّت ؟كيف ناحت ؟ لستُ أدري
لستُ أدري غــير أنّ البـيت قـد ردّ الجـوابْ
بابتسامٍ في جـدار البـيت أضـحى مـنه بـابْ
دخلت فانجاب فيه البشر عن مـحض اللـبابْ
إنّما أدري بهذا غير هذا لستُ أدري
كيف أدري وهـو سرٌ فـيه قـد حـار العـقولْ
حادثٌ في اليوم لكن لم يـزل أصـل الأُصـول
مــظهرٌ لله لكــن لا اتّــحاد لا حــلولْ
غاية الإدراك أن أدري بأنّي لستُ أدري
وُلد الطـهر (عـليٌّ) مـن تسـامى فـي عُـلاهْ ؟
فــاهتدى فــيه فــريقٌ وفــريقٌ فــيه تــاهْ
ضــلَّ أقــوامٌ فــظنّوا : إنّــه حــقّاً إلهْ
أم جنون العشق هذا لا يجازى ؟ لستُ أدري

ونظمها الشاعر المفلق الأُستاذ المسيحي (بولس سلامة) في أوّل ملحمته بالعربيّة (عيد الغدير) فقال في ص ٥٦ :

سمع اللـيل فـي الظـلام المـديدِ هــمسة مــثل أنّــةِ المــفقودِ
مـن خـفيِّ الآلام والكـبت فـيها ومــن البشـر والرجـاء السـعيدِ

حــرّة لزّهـا المـخاض فـلاذت بســتار البــيت العـتيق الوطـيدِ
كعبة الله فـي الشـدائـد تُـرجـى بــابنة المــجد والعُـلى والجـودِ
يذر الفـقر أشـرف النـاس فـرداً والغــنيُّ الخــليع غــير فــريدِ
أيــنما ســار واكــبته جــباهٌ وظــهورٌ مــخلوقةٌ للســجودِ

❊ ❊ ❊

صبرت فاطم على الضـيم حـتّى لهث اللــيل لهــثة المكــدودِ
وإذا نــجمةٌ مــن الأُفـق خـفّت تــطعن اللـيل بـالشعاع الجـديدِ
وتــدانت مــن الحـطيم وقـرّت وتــدلّت تــدلّي العــنقودِ
تسكب الضوء في الأثـير دفـيقاً فـعلى الأرض وابـلٌ مـن سـعودِ
واستفاق الحـمام يسـجع سـجعاً فــتهشُّ الأركــان للــتغريدِ
بســم المسـجد الحـرام حـبوراً وتــنادت حـجاره للـنشيدِ
كــان فـجران ذلك اليـوم فـجرٌ لنــهارٍ وآخــرٌ للــوليدِ
هـالت الأُمّ صـرخـةٌ جـال فـيها بعض شيء من همهمات الأُسـودِ
دعت الشــبل حــيدراً وتـمنّت وأكــبّت عـلى الرجـاء المـديدِ
ـأســداً ـ ســمّت ابـنها كأبـيها لبــدة الجــدّ أُهــديت للـحفيدِ
بـل ـ عـليّاً ـ نـدعوه قـال أبـوه فــاستفزَّ السـماء للـتأكـيدِ
ذلك اســمٌ تـناقلته الفـيافي ورواه الجــلمود للــجلمودِ
يهرم الدهـر وهـو كـالصبح بـاقٍ كــلّ يـومٍ يأتـي بـفجرٍ جـديدِ»

❊ ❊ ❊

وأخيراً هذا خلاصة ما قصدت بيانه في فضيلة الولادة في الكعبة المشرّفة

التي لم تحدث بهذا النحو الإعجازي إلّا لمولانا وإمامنا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونحمد الله ونشكره إذ علنا وإيّاكم من المتمسّكين بولايته وولاية الأئمة الأطهار من ولده، سائلاً المولى القدير أن يوفّقنا للثبات على هداهم وولايتهم في الدنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

عيد الغدير بين الثبوت والإثبات[1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله.

قال الله تعالى في كتابه الكريم في قصّة المسيح مع الحواريّين:

﴿ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أعياد المسلمين أربع: الفطر والأضحى والغدير والجمعة».

والعيد لغةً: مأخوذ من عاد يعود، فيسمّى اليوم الخاصّ عيد، لأنّه يعود كلّ سنة، أو مأخوذ من العوائد، جمع العائدة، أي الفائدة الموهوبة، لأنّ الأعياد تشتمل على عوائد من الذكريات الطيّبة، كما تنزل فيها البركات الإلهيّة والرحمة الخاصّة والعطايا الربّانية والفيوضات القدسيّة.

ولكلّ أُمّة وشعب أعياد وطنيّة أو غيرها من ذكرياتهم الخاصّة، يمجّدونها

---

(١) محاضرة إسلاميّة ألقاها الكاتب في مسجد الإمام الرضا عليه السلام (موكب النجف الأشرف) ليلة عيد الغدير سنة ١٤٢١.

(٢) المائدة: ١١٤.

ويحتفلون بها ويعيدون ذكرياتها، وقد عيّن رسول الإسلام والإنسانيّة محمّد صلى الله عليه وآله لأُمّته في الشريعة الإسلاميّة أعياداً أربعة، كما ورد في نصوص كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنها: عيد الغدير الأغرّ.

ثمّ من الكلمات المتداولة على ألسن العلماء والفضلاء كلمتا (الثبوت) و(الإثبات)، ويقصد بالأوّل الواقع والمعنى ونفس الأمر، كما يقصد من الثاني عالم الدلائل والألفاظ والظهور وإبراز ما هو في الواقع، وإنّ الظاهر ينبئ عن الواقع كما يخبر عن الباطن والحقيقة.

فقوله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ أَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾[1] إنّما هو في عالم الإثبات الذي يخبر عن الإرادة الإلهيّة المتعلّقة بالصلاة في عالم الثبوت والواقع، والذي يسمّى بعالم المصالح والمفاسد.

ونظير الإثبات والثبوت عالمي الملك والملكوت، أو الظاهر والباطن، فكلّ شيء له ملك ظاهري كما له ملكوت باطني، والناس يختلفون ويتفاوتون في الدرجات باعتبار ما يحملون من العلوم والفنون والمعارف، ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2] فيتفاضلون في الدنيا والآخرة بتفاضل المعرفة، وقيمة كلّ امرئ ما يحسنه من العلم والمعرفة والآداب والفنون.

وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، فالآيات والروايات باعتبار المفاهيم والمعاني ليست بمستوى واحد في فهمها ودركها ومعرفتها، بل كما ورد في الخبر

(١) الأنعام: ٧٢.

(٢) المجادلة: ١١.

السجّادي عليه السلام: «سيأتي في آخر الزمان أقوام يتعمّقون، فأنزل الله إليهم سورة التوحيد وآيات من سورة الحديد»، والقلوب أوعية خيرها أوعاها، كما أنّ الزمان وأهله في تطوّر وإزدهار في جانب العلوم المعاشيّة، وكذلك في العلوم المادّية وفي المعارف الإلهيّة المتبلورة بالقرآن الكريم والأخبار النبويّة الشريفة والأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن هذا المنطلق تطرح واقعة الغدير ـ التي هي من أهمّ الوقائع الإسلامية ـ تارة باعتبار عالم الإثبات والدلائل، وما جاء في القرآن الكريم من آيات التبليغ والإكمال وغيرهما، وما ورد في الأحاديث الشريفة من حجّة الوداع وخطبة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله ونصب أمير المؤمنين علي عليه السلام للوصاية والخلافة، واحتجاج أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وأهل البيت بغدير خم، وما جرى فيه من الأحداث التاريخية، وتهنئة الأصحاب والشيخين أبي بكر وعمر بإمرة المؤمنين.

وأُخرى باعتبار عالم الثبوت، وما في واقع الأمر وفي علم الله سبحانه وفي العوالم السابقة على عالم الناسوت، وهي هذه الدنيا التي نعيش فيها، فإنّه كما ثبت في محلّه هناك عوالم سابقة على هذا العالم، كعالم الأنوار وعالم الأرواح وعالم الذرّ وعالم الطينة، أو عالم الجبروت واللاهوت والملكوت، ثمّ من العوالم السابقة ما كان فيها التكليف في الجملة، فإنّ في عالم الذرّ والذي يسمّى بعالم الميثاق وعالم (ألست) أيضاً، قد أخذ الله الميثاق على الخلق وخاطبهم بقوله: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] قالوا: ﴿ بَلَى ﴾، إلّا أنّ الإنسان كأنّه خلق من النسيان، فإنّ من الناس من أنكر تلك الدعوة والتلبيّة، فكفر وأشرك بالله،

(١) الأعراف: ١٧٢.

كما قد أخذ الله الميثاق على الناس جميعهم بنبوّة خاتم النبيّين، والتي تعني النبوّة كلّها من آدم إلى الخاتم، فقال: «أليس محمّد نبيّكم» فقالوا: «بلى»، إلّا أنّ منهم من أنكر ختم النبوّة في هذه الدنيا، فكفر بالنبيّ الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله، وقد أخذ الله الميثاق أيضاً بالإمامة فقال: «أليس عليّ إمامكم» قالوا: «بلى»، إلّا أنّ منهم من جحد نعمة الله سبحانه، فكفر بولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمة المعصومين من بعده.

والغدير هو العيد الأكبر للخلائق أجمع بصورة عامّة، كما هو عيد المسلمين بصورة خاصّة، وللمؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام بنحو أخصّ، فإنّ الله يعود على الخلق بالفضل والعوائد والرحمة الخاصّة، في مثل هذا اليوم المبارك.

ثمّ لنا نصوص كثيرة تدلّ على عظمة وشموخ يوم الغدير، وفي بعضها ما يشير إلى حقيقته في عالم الثبوت.

ففي (المصباح) لشيخ الطائفة شيخنا الطوسي قدس سره[1]، عن داود الرقّي، عن أبي هارون عمّار بن حريز العبدي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، فوجدته صائماً، فقال لي: هذا يوم عظيم، عظّم الله حرمته على المؤمنين، وأكمل لهم فيه الدين، وتمّم عليهم النعمة، وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق. فقيل له: ما ثواب صوم هذا اليوم؟ قال: إنّه يوم عيد وفرح وسرور، ويوم صوم شكراً لله، وإنّ صومه يعدل ستّين شهراً من أشهر الحرم[2].

(١) المصباح: ٥١٣.

(٢) الغدير؛ للعلّامة الأميني، الجزء ١.

قوله عليه السلام: «وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق»، يدلّ على أنّ عالم الإثبات يخبر عن عالم الثبوت، وأنّه تجديد لأمر كان قديماً على الناس وعهداً معهوداً وميثاقاً أخذه الله منهم. كما ورد في أحاديث عالم الذرّ. وفي تفسير الآية الشريفة.

منها: عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة ولرسوله بالنبوّة ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ومحمّد نبيّكم وعليّ إمامكم والأئمة الهادون أئمّتكم ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾»... الحديث[1].

والإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي قدس سره يرى أنّ القول الإلهي في الآية الشريفة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ من باب المجاز والتمثيل، وهو من أوسع أبواب البلاغة في لسان العرب، والقرآن الكريم إنّما نزل على لغتهم وفي أساليبهم، وما تحدّى العرب إلّا على طرائقهم وفي مجازاتهم وحقائقهم، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله، فآية الميثاق والإشهاد على أنفسهم إنّما جاءت من هذا الباب كما جاء غيرها من آيات الفرقان وصحاح السنّة وسائر كلام العرب.

ويذكر في هذا الباب شواهد من التنزيل والسنّة وأشعار العرب، كعرض الأمانة على السماوات والأرض، وقوله: ﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[3]، و ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

(١) فلسفة الميثاق والولاية؛ السيّد عبد الحسين شرف الدين: ٩.

(٢) فصّلت: ١١.

(٣) النحل: ٤٠.

جَبَلٍ ﴾[1]، وبكاء السماء والأرض لسيّد الشهداء عليه السلام، وغير ذلك.

فظاهر آية (الذرّ) أنّها إنّما جاءت على سبيل التمثيل والتصوير، فمعناها والله تعالى أعلم: (و) اذكر يا محمّد صلى الله عليه وآله للناس ما قد واثقوا الله عليه بلسان حالهم التكويني من الإيمان والشهادة له بالربوبيّة، وذلك (إذ أخذ ربّك) أي حيث أخذ ربّك جلّ سلطانه (من بني آدم) أي (من ظهورهم ذرّيتهم) فأخرجها من أصلاب آبائهم نطفاً فجعلها في قرار مكين من أرحام أُمّهاتهم، ثمّ جعل النطف علقاً، ثمّ مضغاً، ثمّ عظاماً، ثمّ كسا العظام لحماً، ثمّ أنشأ كلاً منهم خلقاً سويّاً قويّاً في أحسن تقويم، سميعاً بصيراً ناطقاً عاقلاً مفكّراً مدبّراً عالماً عاملاً كاملاً ذا حواسّ ومشاعر وأعضاء أدهشت الحكماء، وذا مواهب عظيمة وبصائر نيّرة تميّز بين الصحيح والفاسد والحسن والقبيح، وتفرّق بين الحقّ والباطل، فيدرك بها آلاء الله في ملكوته، وآيات صنعه... فكأنّه تبارك وتعالى إذا خلقهم على هذه الكيفيّة قرّرهم ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ فقال لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وكأنّهم ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ على أنفسنا لك بالربوبيّة، ونجعنا لعزّتك وجلاك بالعبوديّة نزولاً على ما قد حكمت به عقولنا، وجزمت به بصائرنا، حيث ظهر لديها أمرك، وغلب عليها قهرك ـ إلى آخر ما يقوله قدس سره ـ.

ثمّ قال: وأمّا أخذ الميثاق هنا لرسوله بالنبوّة ولأوصيائه الاثنى عشر بالإمامة، فإنّما هو على حدّ ما ذكرناه من أخذ الميثاق لله عزّ وجلّ بالربوبيّة، فإنّه وله الحمد والمجد أقام على نبوّة نبيّنا وإمامة أئمّتنا من الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة والآيات البيّنات والحجج البالغة المتظاهرة ما لا يتسنّى

(١) الحشر: ٢١.

جحوده، ولا تتأتّى المكابرة فيه، ولات حين مناص، ولو فرض أنّ الله عزّ سلطانه سأل بني آدم (بعد تناصر تلك الأدلّة) وأشهدهم على نبوّة نبيّنا وإمامة أوصيائه، لما وسعهم إلّا الإقرار لهم والشهادة بالحقّ طوعاً وكرهاً. ألا ترى البرّ والفاجر والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق والناصب والمارق قد نجعوا الفضلهم، وطأطأوا لشرفهم، فسطّروا الأساطير في مناقبهم، وملأوا الطوامير من خصائصهم، وتلك صحاح أعدائهم تشهد لهم بالحقّ الذي هم أهله ومعدنه ومأواه ومنتهاه...

أقول: تفسيره هذا إنّما هو من تفسير الظاهر وكشف القناع عن الآية الشريفة في الظاهر وفي عالم الإثبات والدلائل، وأمّا تأويلها وكشف القناع عن بواطنها وحقائقها فإنّه كما ورد في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم الأعرف بعالم الثبوت والواقع، بوحي نزل على جدّهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فحديثهم حديث جدّهم، أو بإلهام من الله سبحانه وقرع في الأسماع ونكت في القلوب.

وحسب الأخبار المرويّة في تأويل الآية الشريفة، لنا (عالم الذرّ) والنشأة الإنسانية الأُولى كما عند العلّامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان)، وإنّ صدق القضايا في عالمنا هذا إنّما هو باعتبار مطابقتها لنفس الأمر والواقع وما جاء في النشأة الأُولى، وإنّ عالم الميثاق وعالم الذرّ يعدّ من عوالم التكليف في الجملة أيضاً، ودار الدنيا دار الامتحان والتكاليف بالجملة والتفصيل.

وقد أخذ الله سبحانه العهد والميثاق من بني آدم بالتوحيد والنبوّة والإمامة، والجامع لهذه الحقائق هي الولاية العظمى الإلهيّة الجامعة للأسماء الحسنى

والصفات العليا، والمتبلورة في النبوّة، والمتجلّية في الوصاية والإمامة التكوينية والتشريعية، وهي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الأطهار من بعده، فبهم تختم الوصاية كما بجدّهم ختمت النبوّة، وقد ألقم الله الميثاق هذا للحجر الأسود كما ورد في الأخبار الشريفة[1].

فالله سبحانه توّج أمير المؤمنين بتاج الولاية والإمامة في عالم العهد والميثاق من العوالم السالفة والقديمة، وهذا ما نقصده من قولنا: (الغدير في عالم الثبوت)، ثمّ جدّد ذلك العهد في الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام في السنة العاشرة من الهجرة النبويّة الشريفة، وكما ورد في التاريخ وفي الآيات والروايات.

وقصّة الغدير في عالم الإثبات والدلائل الظاهرات والبراهين الساطعات من المتواترات لا يمكن إنكارها إلّا المكابر، ومن استحوذ عليه الشيطان.

هذا ومن الروايات الدالّة على واقعة الغدير في العوالم السابقة:

ما جاء في البحار بسنده عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: كنّا عند الرضا عليه السلام والمجلس غاصّ بأهله، فتذاكروا يوم الغدير، فانكره بعض الناس، فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي عن أبيه، قال: إنّ يوم الغدير في السماء أشهر منه

(١) الوسائل ٥: ٤٠٠، باب ١٢ من أبواب الطواف، الحديث ٢، بسنده عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله لمّا أخذ مواثيق العباد أمر الحجر فالتقمها، فلذلك يقال: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة.
وكذلك في الباب ١٣، وفيه ١٨ رواية، خذها وتدبّر فيها لتستخرج منها اللؤلؤ والمرجان.

في الأرض، إنّ لله في الفردوس الأعلى قصراً لبنة من فضّة ولبنة من ذهب، فيه مائة ألف قبّة من ياقوتة حمراء، ومائة ألف خيمة من ياقوت خضراء، ترابه مسك والعنبر، فيه أربعة أنهار: نهر من خمر، ونهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليه طيور أبدانها من لؤلؤ وأجنحتها من ياقوت، وتصوّت بألوان الأصوات، فإذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات يسبّحون الله ويقدّسونه ويهلّلونه، تتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء، وتتمرّغ على ذلك المسك والعنبر، فإذا اجتمعت الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم، وإنّهم في ذلك اليوم يتهادون نثار فاطمة عليها السلام، فإذا كان آخر ذلك اليوم نودوا: انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم الخطأ والزلل إلى قابل ـ أي إلى السنة القابلة ـ في مثل هذا اليوم تكرمةً لمحمّد وعليّ عليهما السلام.

ثمّ قال: يا ابن أبي نصر، أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ الله يغفر لكلّ مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة، من ذنوب ستّين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر، والدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين، وأفضِل على إخوانك في هذا اليوم، وسرّ فيه كلّ مؤمن ومؤمنة.

ثمّ قال: يا أهل الكوفة، لقد أُوتيتم خيراً كثيراً، وأنتم ممّن امتحن الله قلبه للإيمان، مستذلّون مقهورون ممتحنون، ليصبّ البلاء عليكم صبّاً، ثمّ يكشفه كاشف الكرب العظيم، والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته، لصافحتهم الملائكة في كلّ يوم عشر مرّات.

ولولا أنّي أكره التطويل لذكرت من فضل هذا اليوم وما أعطاه الله من عرفه

ما لا يحصى بعدد[١].

فقوله عليه السلام: «لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته» يشير إلى عالم الثبوت وهو عالم الحقيقة والواقع. كما أنّ الملائكة تحتفل بهذا اليوم المبارك من قبل ومن بعد.

وفي البحار بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول: صوم يوم غدير خم يعدل صيام عمر الدنيا، لو عاش إنسان عمر الدنيا، ثمّ لو صام ما عَمِرت الدنيا لكان له ثواب ذلك، وصيامه يعدل عند الله عزّ وجلّ مائة حجّة ومائة عمرة، وهو عيد الله الأكبر، وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً إلّا وتعيّد في هذا اليوم، وعرف حرمته ـ وهذا يعني أنّ الأنبياء كلّهم عرفوا عيد الغدير ويومه، وهو عيد الله الأكبر، في مكنون علمه وسرّه جلّ جلاله، فكان الغدير قبل خلق الخلق ـ واسمه في السماء يوم العهد المعهود، وفي الأرض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود، ومن صلّى فيه ركعتين من قبل أن تزول الشمس بنصف ساعة شكراً لله عزّ وجلّ، ويقرأ في كلّ ركعة سورة الحمد عشراً، وإنّا أنزلناه في ليلة القدر عشراً، وآية الكرسي عشراً، عدلت عند الله عزّ وجلّ مائة ألف حجّة ومائة ألف عمرة، وما سأل الله عزّ وجلّ حاجة من حوائج الدنيا والآخرة كائنة ما كانتا إلّا أتى الله عزّ وجلّ على قضائها في يسر وعافية، ومن فطّر مؤمناً كان له ثواب من أطعم فئاماً وفئاماً، فلم يزل يعدّ حتّى عدّ عشرة. ثمّ قال: أتدري ما الفئام؟ قلت: لا، قال: مائة ألف، وكان له ثواب من أطعم بعددهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين في

(١) البحار ٨: ١٨٢، راجع التهذيب ٢: ٨، ومصباح المتهجّد: ٥١٣، ومصباح الزائر، الفصل السابع، والإقبال: ٦٨٥.

حرم الله عزّ وجلّ، وسقاهم في يومٍ ذي مسغبة، والدرهم فيه بمائة ألف درهم، ثمّ قال: لعلّك ترى أنّ الله عزّ وجلّ خلق يوماً أعظم حرمةً منه؟ لا والله لا والله، ثمّ قال: وليكن من قولك إذا لقيت أخاك المؤمن: الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اليوم[١] وجعلنا من المؤمنين[٢] وجعلنا من المؤمنين بعهده الذي عهد إلينا، وميثاقه الذي واثقنا به من ولاية ولاةِ أمره، والقوّام بقسطه، ولم يجعلنا من الجاحدين والمكذّبين بيوم الدين[٣].

ثمّ ذكر الإمام عليه السلام الدعاء الذي بعد الصلاة، ومثله مذكور في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي قدس سره، فراجع.

وعن أبي الحسن الليثي، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شيّد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟

فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيّدنا؟

قال: لا.

قالوا: أفيوم الأضحى هو؟

قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منهما، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا انصرف من حجّة الوداع وصار بغدير خُم، أمر الله عزّ وجلّ جبرئيل عليه السلام أن يهبط على النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) وهذا يعني أنّه من التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.

(٢) وهذا يعني أنّه رفع درجات ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾.

(٣) البحار ٩٥: ٣٠٢، عن الإقبال للسيّد ابن طاووس: ٤٧٥.

وقت قيام الظهر من ذلك اليوم وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينصبه علماً للناس بعده، وأن يستخلفه في أُمّته، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمّد إنّ الله يقرئك السلام، ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية علي صلّى الله عليه ليكون علماً لأُمّتك بعدك، يرجعون إليه، ويكون لهم كأنت...[1].

فعيد الغدير هو عيد الله الأكبر جلّ جلاله، كما هو عيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، إنّه عيد الأنبياء والأوصياء، عيد الأئمة الأطهار عليهم السلام وعيد مواليهم وشيعتهم الأخيار، وهو عيد المسلمين، إلّا أنّ القوم لمّا جحدوا حقّ أمير المؤمنين يوم السقيفة، وأنكروا يوم الغدير ـ الثابت عند الفريقين متواتراً كما ذكر العلّامة الأميني قدس سره في كتابه القيّم (الغدير) في أحد عشر مجلّداً ـ أنكروا عيد الغدير أيضاً، بل قالوا بهتاناً وافتراءً، إنّ هذا العيد السعيد من فعل الشيعة في القرن الثالث الهجري ونسبوه إلى معزّ الدولة البويهي.

وإليك ما يذكره العلّامة الأميني عليه الرحمة في كتابه العظيم الغدير حول عيد الغدير[2]:

«إنّ الذي يتجلّى للباحث حول تلك الصفة أمران:

الأوّل: أنّه ليس صلة هذا العيد بالشيعة فحسب، وإن كانت لهم به علاقة خاصّة، وإنّما اشترك معهم في التعيّد به غيرهم من فرق المسلمين، فقد عدّه البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية (ص ٣٣٤) ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد، وفي مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي (ص ٥٣) يوم غدير خم

(١) المصدر ٩٥: ٣٠٠.

(٢) الغدير ١: ٢٦٧.

ذكره (أمير المؤمنين) في شعره وصار ذلك اليوم عيداً وموسماً لكونه كان وقتاً نصّه رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه المنزلة العليّة، وشرّفه بها دون الناس كلّهم.

وقال (ص ٥٦): وكلّ معنى أمكن إثباته ممّا يدلّ عليه لفظ المولى لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد جعله لعليّ، وهي مرتبة سامية ومنزلة سامقة ودرجة عليّة، ومكانة رفيعة، خصصه بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم عيد وموسم سرور لأوليائه. انتهى.

قال العلّامة الأميني قدس سره: تفيدنا هذه الكلمة اشتراك المسلمين قاطبة في التعيّد بذلك اليوم سواء رجع الضمير في (أوليائه) إلى النبيّ أو الوصيّ صلّى الله عليهما وآلهما، أمّا على الأوّل: فواضح، وأمّا على الثاني: فكلّ المسلمون يوالون أمير المؤمنين عليّاً شرع سواء في ذلك في يواليه بما هو خليفة الرسول بلا فصل، ومن يراه رابع الخلفاء، فلن تجد في المسلمين من ينصب له العداء إلّا شذّاذ من الخوارج مرقوا عن الدين الحنيف.

ثمّ يذكر رحمه الله شواهد أُخرى تدلّ على أنّ المسلمين في القديم كانوا يحتفلون بهذا اليوم المبارك ويعدّونه عيداً عظيماً من أعياد الإسلام، ثمّ يقول:

الثاني: إنّ عهد هذا العيد يمتدّ إلى أمد قديم متواصل بالدور النبوي، فكانت البدأة به يوم الغدير من حجّة الوداع... فكان يوماً مشهوداً يسرّ موقعه كلّ معتنق للإسلام حيث وضح له فيه منتجع الشريعة، ومنبثق أنوار أحكامها، فلا تلويه من بعده الأهواء يميناً وشمالاً ولا يسفّ به الجهل إلى هوّة السفاسف، وأيّ يوم يكون أعظم منه؟ وقد لاح فيه لاحب السنن، وبان جدد الطريق، وأكمل فيه الدين، وتمّت فيه النعمة، ونوّه بذلك القرآن الكريم، ثمّ يذكر حديث التهنئة بالإمرة

لأمير المؤمنين علي عليه السلام من طرق عديدة تبلغ الستّين.

ثمّ يقول: كلّ هذه لا محالة قد أكسب هذا اليوم منعةً وبذخاً ورفعةً وشموخاً، سرّ موقعها صاحب الرسالة الخاتمة وأئمة الهدى ومن اقتصّ أثرهم من المؤمنين، وهذا هو الذي نعنيه من التعيّد به، وقد نوّه به رسول الله في ما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في القرن الثالث عن محمّد بن ظهير عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه، قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم غدير خم أفضل أعياد أُمّتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأُمّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتمّ على أُمّتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً، كما يعرب عنه قوله صلى الله عليه وآله في حديث آخر أخرجه الحافظ الخركوشي (كما في الغدير ص ٢٧٤): هنّئوني هنّئوني».

واقتفى أثر النبيّ الأعظم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام نفسه فاتّخذه عيداً، وخطب فيه سنة اتّفق فيها الجمعة والغدير، ومن خطبته قوله: إنّ الله عزّ وجلّ جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين ولا يقوم أحدهما إلّا بصاحبه ليكمل عندكم جميل صنعه، ويقفكم على طريق رشده، ويقفو بكم آثار المستضيئين بنور هدايته، ويسلككم منهاج قصده، ويوفّر عليكم هنيء رفده، فجعل الجمعة مجمعاً ندب إليه لتطهير ما كان قبله، وغسل ما أوقعته مكاسب السوء من مثله إلى مثله، وذكرى للمؤمنين، وتبيان خشية المتّقين، ووهب من ثواب الأعمال فيه أضعاف ما وهب لأهل طاعته في الأيّام قبله، وجعله لا يتمّ إلّا بالائتمار لما أمر به، والانتهاء عمّا نهى عنه، والبخوع بطاعته في

ما حثّ عليه وندب إليه، فلا يقبل توحيده إلّا بالاعتراف لنبيّه صلى الله عليه وآله بنبوّته، ولا يقبل ديناً إلّا بولاية من أمر بولايته، ولا تنتظم أسباب طاعته إلّا بالتمسّك بعصمه وعصم أهل ولايته، فأنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله في يوم الدوح ما بيّن به عن إرادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ وترك الحفل بأهل الزيغ والنفاق وضمن له عصمته منهم.

إلى أن قال:

عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم، وبالبرّ بإخوانكم، والشكر لله عزّ وجلّ على ما منحكم، وأجمعوا يجمع الله شملكم، وتبارّوا يصل الله أُلفتكم، وتهادوا نعمة الله كما منّكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده إلّا في مثله، والبرّ فيه يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه، وهيّئوا لإخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من وجودكم، وبما تناله القدرة من استطاعتكم، وأظهروا البشر في ما بينكم والسرور في ملاقاتكم. الخطبة[1].

وعرفه أئمة العترة الطاهرة صلوات الله عليهم فسمّوه عيداً وأمروا بذلك عامّة المسلمين، ونشروا فضل اليوم ومثوبة من عمل البرّ فيه.

ففي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي في سورة المائدة عن جعفر بن محمّد الأزدي، عن محمّد بن الحسين الصائغ، عن الحسن بن علي الصيرفي، عن محمّد البزّاز، عن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟

---

(١) ذكرها شيخ الطائفة بإسناده في مصباح المتهجّد: ٥٢٤.

قال : فقال لي : نعم ،أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنزل على نبيّه محمّد : اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً .

قال : قلت : وأيّ يوم هو ؟

قال : فقال لي : إنّ أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصيّة والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً ، وإنّه اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً للناس علماً وأنزل فيه ما أنزل ، وكمل فيه الدين ، وتمّت فيه النعمة على المؤمنين .

قال : قلت : وأيّ يوم هو في السنّة ؟

قال : فقال لي : إنّ الأيام تتقدّم وتتأخّر وربما كان يوم السبت والأحد والاثنين إلى آخر الأيام السبعة[1] .

قال : قلت : فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم ؟

قال : هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له وسرور لِما منَّ الله به عليكم من ولايتنا . فإنّي أُحبّ لكم أن تصوموه .

وفي الكافي لثقة الإسلام الكليني (١ : ٣٠٣) عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين ؟

قال : نعم يا حسن ،أعظمهما وأشرفهما .

(١) الظاهر أنّ في لفظ الحديث سقطاً ، ولعلّه ما سيأتي في لفظ الكليني عن الإمام نفسه من تعيينه باليوم الثامن عشر من ذي الحجّة .

قلت : وأيّ يوم هو ؟

قال : يوم نصب أمير المؤمنين عليه السلام علماً للناس .

قلت : جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه ؟

قال : تصوم يا حسن ، وتكثر الصلاة على محمّد وآله ، وتبرأ إلى الله ممّن ظلمهم ، فإنّ الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء اليوم الذي كان يقام فيه الوصيّ أن يتّخذ عيداً .

قال : قلت : فما لمن صامه ؟

قال : صيام ستّين شهراً[1] .

وفي الكافي أيضاً (١ : ٢٠٤) عن سهل بن زياد عن عبد الرحمن بن سالم عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام هل للمسلمين عيدٌ غير يوم الجمعة والأضحى والفطر ؟

قال : نعم أعظمها حرمة .

قلت : وأيّ عيد هو جعلت فداك ؟

قال : اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وقال : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه .

قلت : وأيّ يوم هو ؟

قال : وما تصنع باليوم ، إنّ السنّة تدور ، ولكنّه يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة .

فقلت : ما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم ؟

(١) ستوافيك هذه المثوبة من رواية الحفّاظ بإسناد رجاله كلّهم ثقات .

قال : تذكرون الله عزّ ذكره فيه بالصيام والعبادة والذكر لمحمّد وآل محمّد، فإنّ رسول الله ﷺ أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتّخذوا ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء تفعل كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتّخذونه عيداً.

وبإسناده عن الحسين بن الحسن الحسيني، عن محمّد بن موسى الهمداني، عن عليّ بن حسان الواسطي، عن عليّ بن الحسين العبدي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: صيام يوم غدير خمّ يعدل عند الله في كلّ عام مائة حجّة ومائة عمرة مبرورات متقبّلات وهو عيد الله الأكبر. الحديث.

وفي (الخصال) لشيخنا الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم للمسلمين من عيد؟

فقال: أربعة أعياد.

قال: قلت: قد عرفت العيدين والجمعة.

فقال لي: أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه للناس علماً.

قال: قلت: وما يجب علينا في ذلك اليوم؟

قال: يجب[1] عليكم صيامه شكراً لله وحمداً له مع أنّه أهل أن يشكر كلّ ساعة، كذلك أمرت الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الذي يقام فيه الوصيّ ويتّخذونه عيداً. الحديث.

وفي (المصباح) لشيخ الطائفة الطوسي (ص: ٥١٣) عن داود الرقّي عن

(١) المراد بالوجوب هو الثبوت بالسنّة الشامل للندب أيضاً كما يكشف عنه التعبير بـ (ينبغي) في بقية الأحاديث وله في أحاديث الفقه نظائر جمّة.

أبي هارون عمّار بن حريز العبدي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة فوجدته صائماً، فقال لي: هذا يوم عظيم، عظّم الله حرمته على المؤمنين وأكمل لهم فيه الدين، وتمّم عليهم النعمة، وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق فقيل له: وما ثواب صوم هذا اليوم؟ قال: إنّه يوم عيد وفرح وسرور ويوم صوم شكراً لله، وإنّ صومه يعدل ستّين شهراً من أشهر الحرم. الحديث.

وروى عبد الله بن جعفر الحميري عن هارون بن مسلم عن أبي الحسن الليثي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شيّد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟

فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيّدنا؟

قال: لا.

قالوا: أفيوم الأضحى هو؟

قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان ويوم منار الدين أشرف منهما، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وإنّ رسول الله ﷺ لمّا انصرف من حجّة الوداع وصار بغدير خم. الحديث.

وفي حديث الحميري بعد ذكر صلاة الشكر يوم الغدير وتقول في سجودك: اللهمّ إنّا نفرّج وجوهنا في يوم عيدنا الذي شرّفتنا فيه بولاية أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب صلّى الله عليه.

وقال الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسي سنة تسع وخمسين ومائتين وقد بلغ التسعين: إنّه شهد أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في يوم الغدير

وبحضرته جماعة من خاصّته قد احتبسهم للإفطار، وقد قدّم إلى منازلهم الطعام والبرّ والصلات والكسوة حتّى الخواتيم والنعال، وقد غيّر من أحوالهم وأحوال حاشيته، وجدّدت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وقدمه.

وفي مختصر بصائر الدرجات بالإسناد عن محمّد بن العلاء الهمداني الواسطي ويحيى بن جريح البغدادي، قالا في حديث: قصدنا جميعاً أحمد بن إسحاق القمّي صاحب الإمام أبي محمّد العسكري (المتوفّى ٢٦٠) بمدينة قم وقرعنا عليه الباب فخرجت إلينا من داره صبيّة عراقيّة فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول بعيده، فإنّه يوم عيد، فقلنا: سبحان الله أعياد الشيعة أربعة: الأضحى والفطر والغدير والجمعة. الحديث.

(ما عشت أراك الدهر عجباً)

إلى هنا أوقفك البحث والتنقيب على حقيقة هذا العيد وصلته بالأُمّة جمعاء، وتقادم عهده المتّصل بالدور النبوي، ثمّ جاء من بعده متواصلة العرى من وصيّ إلى وصيّ يعلم به أئمة الدين، ويشيد بذكره أُمناء الوحي كالإمامين أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الرضا بعد أبيهم أمير المؤمنين صلوات الله عليهم، وقد توفّي هذان الإمامان ونطف البويهيّين لم تنعقد، وقد جاءت أخبارهما مرويّة في تفسير فرات والكافي المؤلَّفين في القرن الثالث، وهذه الأخبار هي مصادر الشيعة ومداركها في اتّخاذ يوم الغدير عيداً منذ عهد طائل في القدم، ومنذ صدور تلكم الكلم الذهبيّة من معادن الحُكم والحِكَم.

إذا عرفت هذا فهلمّ معي نسائل النويري والمقريزي عن قولهما: إنّ هذا

العيد ابتدعه معزّ الدولة عليّ بن بويه (سنة ٣٥٢) قال الأوّل في (نهاية الإرب في فنون الأدب) (١: ١٧٧) في ذكر الأعياد الإسلاميّة: وعيد ابتدعته الشيعة وسمّوه عيد الغدير، وسبب اتّخاذهم له مواخاة النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب يوم غدير خم، والغدير تصبّ فيه عين وحوله شجر كبير ملتفّ بعضها ببعض، وبين الغدير والعين مسجد رسول الله ﷺ واليوم الذي ابتدعوا فيه هذا العيد هو الثامن عشر من ذي الحجّة، لأنّ المواخاة كانت فيه في سنة عشر من الهجرة وهي حجّة الوداع، وهم يحيون ليلتها بالصلاة ويصلّون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال، وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق الرقاب وبرّ الأجانب والذبائح.

وأوّل من أحدثه معزّ الدولة أبو الحسن عليّ بن بويه على ما نذكره إن شاء الله في أخباره في سنة ٣٥٢، ولمّا ابتدع الشيعة هذا العيد واتّخذه من سننهم عمل عوام السنّة يوم سرور نظير عيد الشيعة في سنة ٣٨٩ وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيّام، وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله ﷺ لغار هو وأبو بكر الصدّيق، وأظهروا في هذا اليوم الزينة ونصب القباب وإيقاد النيران. اهـ.

وقال المقريزي في الخطط ٢: ٢٢٢: عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ولا عمله أحد من سالف الأُمّة المقتدى بهم، وأوّل ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معزّ الدولة عليّ بن بويه فإنّه أحدثه سنة ٣٥٢ فاتّخذه الشيعة من حينئذٍ عيداً. اهـ.

وما عساني أن أقول في بحّاثة يكتب عن تأريخ الشيعة قبل أن يقف على حقيقته، أو أنّه عرف نفس الأمر فنسيها عند الكتابة، أو أغضى عنها لأمر دُبِّر بليل، أو أنّه يقول ولا يعلم ما يقول، أو أنّه ما يبالي بما يقول، أوَ ليس المسعودي

المتوفّى ٣٤٦ يقول في التنبيه والإشراف ص ٢٢١ : وولد عليّ ﷺ وشيعته يعظّمون هذا اليوم. أوَ ليس الكليني الراوي لحديث عيد الغدير في الكافي توفّي سنة ٣٢٩؟ وقبله فرات بن إبراهيم الكوفي المفسّر الراوي لحديثه الآخر في تفسيره (الموجود عندنا) الذي هو في طبقة مشايخ ثقة الإسلام الكليني المذكور، فالكتب هذه أُلّفت قبل ما ذكراه (النويري والمقريزي) من التاريخ (٣٥٢). أوَ ليس الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسي قد أخبر به سنة ٢٥٩؟ وذكر أنّه شاهد الإمام الرضا سلام الله عليه (المتوفّى سنة ٢٠٣) يتعيّد في هذا اليوم ويذكر فضله وقدمه، ويروي ذلك عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام. والإمام الصادق المتوفّى سنة ١٤٨ قد علّم أصحابه بذلك كلّه وأخبرهم بما جرت عليه سنن الأنبياء من اتّخاذ يوم نصبوا فيه خلفاءهم عيداً كما جرت به العادة عند الملوك والأُمراء من التعيّد في أيّام تسنّموا فيها عرش الملك، وقد أمر أئمة الدين عليهم السلام في عصورهم القديمة شيعتهم بأعمال برّية ودعوات مخصوصة بهذا اليوم وأعمال وطاعات خاصّة به. والحديث الذي مرّ عن مختصر بصائر الدرجات يعرب عن كونه من أعياد الشيعة الأربعة المشهورة في أوائل القرن الثالث الهجري.

هذه حقيقة عيد الغدير لكن الرجلين أرادا طعناً بالشيعة فأنكرا ذلك السلف الصالح وصوّراه بدعةً معزوّة إلى معزّ الدولة وهما يحسبان أنّه لا يقف على كلامهما من يعرف التاريخ فيناقشهما الحساب.

﴿ فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[1].

(١) الأعراف : ١١٨ ـ ١١٩.

وختاماً : انطلاقاً من عقيدتنا الإسلاميّة الحقّة، لا بدّ لنا ولكلّ مسلم ومسلمة أن يحتفل بهذا اليوم العظيم بالعبادة والتقرّب إلى الله سبحانه وبالصلاة والصوم والشكر لله، والصلاة على النبيّ وآله، ولعن أعدائهم ومنكري فضائلهم، كما نحتفل فيه بالسرور والأفراح وإقامة الحفلات والإطعام والسخاء والعطاء على الأهل والعيال والأصدقاء والأحبّاء، ونشاطر البهجة السماوية ونشارك الفرحة القدسيّة مع ملائكة السماء، واجتماعهم في القصر الفردوس الذي وصفه لنا مولانا وإمامنا الرضا عليه السلام، ونتعايد بعضنا مع بعض بالمعانقة والمصافحة الولائية، فرحين مستبشرين بما آتانا الله من إكمال الدين وإتمام النعمة التي لا يحصى فضائلها، ونقول : الحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين.

ومن الطريف أن نذكر أنّ كثيراً من الحوادث والوقائع الإسلامية ـ كتاريخ ولادة النبيّ ﷺ ـ يوجد اختلاف بين المسلمين في تحديده ووقوعه، بل نجد الاختلاف في الأحكام والفروع الفقهيّة، وحتّى الاختلاف في العقائد وحدودها، إلّا أنّه نجد الاتّفاق بين كلّ المذاهب الإسلاميّة على هذه الأيام الأربعة (أعياد المسلمين) الفطر والأضحى والغدير والجمعة، فإنّ الجمعة نهاية الأُسبوع يجتمع فيها المسلمون ويحتفلون بها بصلاة الجمعة، كما يحتفلون بيوم الفطر الأوّل من شوّال، ويوم الأضحى العاشر من ذي الحجّة، ويوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجّة، ولم يقع الخلاف بأنّ واقعة الغدير كانت في غير اليوم الثامن عشر، فتدبّر.

كما أنّ القاسم المشترك في هذه الأعياد هو مسألة الإمامة والالتفاف حول الإمام، ففي كلّ أُسبوع يجتمع المسلمون في صلاة الجمعة حول أئمّتهم (أئمة

الجماعة والجمعة) ليسمعوا الخطب والمواعظ والبلاغ، كما أنّ أصل البلاغ وتمامه كان في يوم الغدير، فلو لم يفعل النبيّ نصب الولي والوصي فما بلّغ رسالته، فاجتمع الناس حول إمامهم في الغدير كما يحتفل به في كلّ عام إحياءً لتلك الواقعة العظمى، وكذلك الناس يجتمعون حول أئمّتهم في عيد الفطر والأضحى.

واعلم أنّ ثقافة مذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام تبتني على أركان وأساطين أربع :

١ ـ التوحيد الكامل.

٢ ـ النبوّة الصادقة.

٣ ـ والغدير الأغرّ.

٤ ـ وعاشوراء الخالدة.

والثالث يتجلّى فيه الولاء والإمامة الحقّة، كما أنّ الرابع يتبلور فيه البراءة من الأعداء والشهادة، فالثالث يعني الولاية، كما أنّ الرابع ينتهي إلى البراءة.

ولمثل هذا نقول : (إنّما الحياة عقيدة وجهاد) شعار وشعور وفداء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.